

الوحي بالقرآن عند الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كلفيته ومصدره

دراسة عقديّة

إعداد

د. شريفة بنت أحمد بن علي الحازمي

قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

من ٢٦٧٩ إلى ٢٧٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن من أشرف مباحث الدين ما يتعلق بكتاب الله تعالى إذ هو كلامه عز وجل الذي هو صفته ثم هو المعجزة الخالدة وهو حجة الله تعالى على خلقه إلى قيام الساعة وإن رد الشبهات التي أثّرت وتثار حول كتاب الله تعالى من أعظم الواجبات إذ هو دستور المسلمين وبه نجاحهم والإيمان به هو أصل الإيمان.

ويعد هذا البحث إسهاماً مني في القيام بهذا الواجب إذ أن الشبهات التي أثّرت قديماً لا زالت تلقى صداها لدى بعض المعاصرين ثم إن تقويض الأسس القديمة التي قامت عليها هذه الشبهات كاف لتقويض شبه هؤلاء والرد عليها. وقد سميت هذا البحث بـ: "الوحي بالقرآن عند الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام: كلفيته ومصدره، دراسة عقديّة.

وقسمته إلى مبحثين يسبقهما مقدمة وعهيد ويليها أهم نتائج البحث ثم فهرسه.

أما التمهيد فبينت فيه معنى الوحي في لغة العرب ومعناه في الشرع وبينت فيه خصائص الوحي ومعنى القرآن في لغة العرب وفي الشرع بإيجاز ثم عرجت على التعريف بالفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام بإيجاز.

وأما المبحث الأول فهو في بيان كيفية الوحي بالقرآن وقد جعلته في مطلبين: المطلب الأول: بينت فيه الوحي بالقرآن إلى جبريل عليه السلام مصدره وكلفيته عند أهل السنة والجماعة.

والمطلب الثاني: ذكرت فيه كيفية نزول القرآن على محمد ﷺ.

وأما المبحث الثاني: فذكرت فيه مذهب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام في الوحي بالقرآن والرد عليهم وقد بينت فيه مفهوم الوحي عندهم ومذهبهم في الملائكة والنبوة ثم مذهبهم في نزول القرآن كلفيته ومصدره والرد عليهم في ذلك.

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يجعل ذلك كله خالصاً لوجهه العظيم وصلى الله على نبينا محمد.

التمهيد

أولاً: معنى الوحي وخصائصه:

١- معنى الوحي في لغة العرب:

أصل الوحي في لغة العرب الإعلام في خفاء^(١)، يقول ابن فارس^(٢) في معجمه: "الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء"^(٣).

ويطلق الوحي في اللغة على الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام وكل ما ألقته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان، ولذا قيل في معناه: إنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره.

ويطلق الوحي ويراد الموحى به أي بمعنى اسم المفعول^(٤) وهو ما أنزله الله على أنبيائه ورسله.

والوحي في اللغة يتناول الأمور الآتية:

١- الإلهام الفطري للإنسان؛ كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^(٥).

(١) انظر لسان العرب ٣٨١/١٥.

(٢) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني من علماء اللغة والأدب، له مصنفات منها الصاحي، توفي سنة ٣٩٥هـ.

انظر: إنباه الرواة ٢٧/١، الأعلام ١٩٣/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ص ١٠٨٥.

(٤) انظر: لسان العرب ٣٧٩/١٥ - ٣٨٢، القاموس المحيط، ص ١٣٤٢، ومعجم المقاييس ص ١٠٨٥، مباحث في علوم القرآن للقطان، ٣٢، دراسات في علوم القرآن الكريم للألمعي، ص ١٦ - ١٧.

(٥) سورة القصص، آية ٧.

٢- الإلهام الغريزي للحيوان؛ كالوحي إلى النحل، قال تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(١).

٣- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاها القرآن عنه،

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢).

٤- ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى

الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣).

٥- وسوسة الشيطان وتزنيبه الشر في نفوس البشر^(٤)، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ

الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾^(٥)، وقال

تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ

(١) سورة النحل، آية ٦٨.

(٢) سورة مريم، آية ١١.

(٣) سورة الأنفال، آية ١٢.

(٤) انظر: لسان العرب ٣٨٠/١٥ - ٣٨١، ومباحث في علوم القرآن للقطن، ص ٣٢، ٣٣، ودراسات في

علوم القرآن للألمي، ص ١٦ - ١٧، وانظر المفردات للراغب، ص ٥١٥ - ٥١٦.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٢١.

وَالْحِجِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوَلِ غُرُورًا.....^(١)

وإطلاقات الوحي في اللغة تفيد معنى السرعة والخفاء^(٢) وتدور حول هذين المعنيين، وجميع ما ورد في القرآن الكريم في معنى كلمة الوحي ومشتقاتها تدور حول المعاني التي أطلقت عليها في لغة العرب. وقد استعملها القرآن بالمعنى الأخص^(٣) وهو المعنى الشرعي للوحي وهو ما سنبينه في النقطة التالية.

٢- معنى الوحي في الشرع:

عرف الوحي في الشرع بأنه "ما يوحيه الله تعالى إلى نبي من أنبيائه على أي وجه من وجوه الإحياء بواسطة الملك أو بغير واسطة"^(٤).

^(١) سورة الأنعام، آية ١١٢.

^(٢) انظر: المفردات للراغب، ص ٥١٥، وانظر النهاية في غريب الحديث ١٤٢/٥.

^(٣) انظر: وحي الله لحسن ضياء الدين، ص ٩٨.

^(٤) دراسات في علوم القرآن للألمعي، ص ١٧.

فقد ذكر السيوطي^(١) في الإتقان عن الزهري^(٢) أنه سئل عن الوحي فقال: "الوحي ما يوحى الله إلى نبي من أنبيائه فيثبت في قلبه فيتكلم به ويثبت به وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه"^(٣).

ومن هنا نلاحظ أن المعنى الشرعي للوحي أخص من المعنى اللغوي من جهتين: من جهة مصدره فمصدره هو الله جل جلاله وحده. ومن جهة الموحى إليهم والمتلقين له وهم الأنبياء والرسل^(٤).

٣- خصائص الوحي:

من استقراء نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لها نستطيع أن نتلمس الخصائص التالية للوحي:

١- أن الوحي اصطفاء إلهي واختيار رباني:

فهو شرف إلهي يصطفي الله له من يشاء قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

^(١) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الحضيري السيوطي الشافعي أبو الفضل، جلال الدين، إمام حافظ مفسر ومؤرخ وأديب له أكثر من ٦٠٠ مصنف، توفي سنة ٩١١هـ.

انظر: الكواكب السائرة ٢٢٦/١، والتاج المكلل، ص ٣٥٦، والأعلام ٣/٣٠١.

^(٢) الزهري: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أبو بكر الحافظ الفقيه عالم الحجاز والشام وأحد الأئمة الأعلام، توفي سنة ١٢٥هـ.

انظر: تقريب التهذيب، ص ٥٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٤٤/٧.

^(٣) ج ١، ص ٢٩٧، وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ٣٩٧/١٢.

^(٤) انظر: وحي الله، ص ٩٨ - ٩٩، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه، ص ٧٩.

^(٥) سورة الأنعام، آية ١٢٤.

رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ^(١) وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٢)، يقول ابن كثير^(٣) في تفسيره لهذه الآية: في قوله "يُنَزِّلُ

الملائكة بالروح...": "أي بالوحي...." وقوله "على من يشاء من عباده" وهم الأنبياء...."^(٤)، ويقول في قوله تعالى: "الله أعلم حيث يجعل رسالته": "أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه"^(٥).

فهذه الآيات وغيرها تبين أن الوحي اصطفاء واختيار إلهي محض لا أثر لسعي العبد في كسبه أو دفعه ولا عبرة في حصوله للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية، وهو لا يُنال بالجهد الفكري أو الترقّي الروحي، فإن الله جل جلاله قد اختص بالنبوة من شاء متى شاء وفق مقتضى الحكمة والعلم والرحمة^(٦).

٢- الوحي حدث مفاجئ لا اختيار فيه:

فالوحي خارج عن ذات النبي ﷺ وعن إرادته ولا سبيل إلى دفعه أو استحضاره بل هو من رب العالمين بإرادته ورحمته وقدرته.

وسيرة النبي ﷺ وسنته بينت لنا كيف أن النبي ﷺ لم يستشرف الوحي ولم يتأهب له بل طرقه الوحي بغتة في غار حراء وكان يفاجئه ليلاً ونهاراً، حضراً وسفراً، راكباً أو

(١) سورة الحج، آية ٧٥.

(٢) سورة النحل، آية ٢.

(٣) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء عماد الدين، حافظ مفسر وفقه ومؤرخ من تلاميذ ابن تيمية رحمه الله، له البداية والنهاية والتفسير وغيرها، توفي سنة ٧٧٤هـ.

انظر: الدرر الكامنة ٣٩٩/١، والأعلام ٣٢٠/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٩٧٨/٥، وانظر: نظم الدرر للبقاعي ١٠٤/١١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٣٥٩/٣.

(٦) انظر: وحي الله، ص ١٣٢.

جالساً. وكل هذا يؤكد أنه اصطفاء ورحمة وفضل من الله يترله على من يشاء من عباده، وإننا لنستبين من أقوال النبي ﷺ ومن حاله حين نزول الوحي عليه أنه أمر خارج عن إرادته واختياره وأنه يأتي فجأة فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة.... ثم حب الله الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ...." (١).

وروى أيضاً بسنده إلى النبي أنه قال وهو يحدث عن فترة الوحي: "بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض؛ فرعبت منه فرجعت؛ فقلت زملوني زملوني فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ.....﴾" (٢) (٣).

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فقلت الآية: ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴿٤﴾ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴿٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦﴾﴾ (٤) (٥).

وإن ما كان يعتري النبي ﷺ من أعراض أثناء نزول الوحي عليه وآثار ذلك يؤكد أنه أمر إلهي ليس للبشر أي تدخل فيه؛ ولا سبيل إلى التخلص منه؛ ولا

(١) أخرجه البخاري (٣)، (٤٩٢٦).

(٢) سورة المدثر، آيتا ١ - ٢.

(٣) أخرجه البخاري (٤).

(٤) سورة مريم، آية ٦٤.

(٥) أخرجه البخاري (٤).

لاستجلابه؛ فلقد كان يترّل عليه الوحي في اليوم القارس البرد فينجلي عنه الوحي وإن جبينه ليتفصد عرقاً؛ ولقد كان جسده الشريف ليثقل من شدة الوحي حتى تكاد فخذته ترض فخذ زيد دونها وحتى تثقل ناقته فتبرك على الأرض وتزخر أذناه بأصوات كصلصلة الجرس ويسمع لها دوي كدوي النحل وهذه الأعراض لم تكن تعرض لمحمد ﷺ إلا حين نزول الوحي عليه ثم سرعان ما تنجلي عنه ولا تعاوده إلا مقترنة مع الوحي.

وهذه القرائن دلائل قوية على أن النبوة اصطفاء واختيار رباني وليست أمر كسي راجع لإرادة البشر وقدرتهم.

٣- معارف الوحي فوق طاقة البشر وقدرتهم:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ

مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

فقد اشتمل القرآن العظيم على أصول الدين وأحكام الشريعة وبين حقائق تاريخية وردت في الكتب السماوية التي تعرضت للتحريف والتشويه؛ فمحصها وبين الحق فيها، كما اشتمل على أخبار غيبية مستقبلية حدثت واقعاً كما أخبر بها، واشتمل على أوجه عدة من إعجاز القرآن مما يخرج عن نطاق البشر وعن حدود قدرتهم ومما يوجب التسليم بأنها وحي من عند الله تعالى ومعارف إلهية ربانية توجب اليقين بصدق الرسل وإلهية الرسالة^(٢).

٤- الوحي يصحبه علم يقيني ضروري به من قبل الموحى إليه:

(١) سورة النساء، آية ١١٣.

(٢) انظر: وحي الله، ص ١٣٣ وما بعدها.

الوحي يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه؛ بأن ما ألقى إليه حق، وهذا العلم اليقيني الذي يصحب نزول الوحي لا يحتاج إلى مقدمات "وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية"^(١).

فالوحي بجميع أنواعه يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه بأن ما ألقى إليه حق من عند الله وليس من خطرات النفس أو نزعات الشيطان^(٢).

ثانياً: تعريف القرآن في اللغة والشرع والفرق بينه وبين الحديث القدسي:

١- تعريف القرآن في لغة العرب:

القرآن في الأصل مصدر مشتق كما قال الراغب^(٣) في مفرداته^(٤) فهو مصدر من الفعل الثلاثي (قرأ) تقول: قرأ يقرأ قرءاً أو قراءة وقرآناً.

وأصل معنى القرآن والقراءة: معنى الجمع والضم^(٥) ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ

عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْءَانُهُ ۖ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۖ﴾^(٦).

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق، وانظر أيضاً وحي الله، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٣) الراغب: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني أو الأصفهاني قال عند الذهبي كان من أذكى المتكلمين أديب سكن بغداد من علماء أصبهان وحكمائها، له مصنفات منها الذريعة والأخلاق والمفردات، توفي سنة ٥٠٢ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٥٠٦، والأعلام ٢/٢٥٥.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٤٠٢.

(٥) انظر: لسان العرب ١/١٢٨ مادة قرأ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/٨٤، والمفردات في غريب القرآن،

ص ٤٠٢.

(٦) سورة القيامة، آيتا ١٧ - ١٨.

وقد ذهب بعض الأئمة والعلماء إلى أن أصل لفظ القرآن غير مشتق وأنه يجري مجرى الأعلام كما ذهب إلى ذلك الإمام الشافعي^(١) وهو ما اختاره السيوطي في الإتيان^(٢).

والصحيح أنه مشتق من قرأ وهو مصدر كالقراءة ويكون بهذا مهموزاً وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وترجيح كونه مشتقاً استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق^(٣) وهو ما ذهب إليه القرطبي^(٤) في الجامع^(٥).

٢- تعريف القرآن شرعاً:

القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ من الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر^(٦).

وهذا التعريف عادة ما نجده في كتب علوم القرآن وعند الأصوليين، مع اختلاف في الألفاظ بينهم، أما في كتب العقيدة فيعرفه الإمام الطحاوي^(٧) قائلاً: "القرآن كلام الله

(١) انظر: تذييب الأسماء واللغات ٨٣/٢، لسان العرب ١٢٨/١ - ١٢٩ مادة قرأ.

(٢) انظر: الإتيان ١٦١/١ - ١٦٣.

(٣) انظر: مناهل العرفان ١٦/١، والإيمان بالقرآن، ص ٤٤، ومعجم المقاييس في اللغة، ص ٨٨٤.

(٤) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي القرطبي أبو عبد الله، إمام مفسر، له مصنفات، توفي سنة ٦٧١هـ.

انظر: طبقات المفسرين للدادوي، ٦٩/٢، والأعلام ٣٢٢/٥.

(٥) انظر: الإيمان بالقرآن، ٤٤.

(٦) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ٨، والمدخل إلى دراسة القرآن الكريم لأبي شهبه، ص ١٩، وانظر: في تعاريف القرآن الكريم: التعبير في علم التفسير، ص ٣٨ - ٤٠، والتوقيف على مهمات التعاريف، ص ٥٧٨، ومناهل العرفان ١٩/١، والإيمان بالقرآن، ص ٤٦.

(٧) الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي، الإمام العلامة النقية الحافظ الثقة الثبت، ينسب إلى طحا إحدى قرى مصر، له تصانيف عدة منها أحكام القرآن ومعاني الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٢١/٣، والأعلام ٢٠٦/١.

منه بدا بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله ﷺ وحياً، وصدقته المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية....^(١).

٢- الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

ذكر العلماء فروقاً كثيرة بين القرآن وبين الحديث القدسي منها:

- ١- أن القرآن متحدى به والحديث القدسي ليس متحدى به.
- ٢- أن القرآن منقول إلينا بالتواتر فهو قطعي الثبوت وما دون التواتر لا يثبت به القرآن وأما الأحاديث القدسية فلا يشترط فيها ذلك.
- ٣- أن القرآن من عند الله لفظاً ومعنى أما الحديث القدسي فمعناه من الله باتفاق العلماء أما لفظه فاختلف فيه.
- ٤- أن القرآن متعبد بتلاوته والحديث القدسي ليس كذلك.
- ٥- أن الأحاديث القدسية يقال فيها قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه أو قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى، وأما القرآن فلا يقال فيه إلا قال الله تعالى فلا ينسب إلا إلى الله تعالى^(٢).

ثالثاً: التعريف بالفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام (بإيجاز):

الفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلو - سوفيا).

وفيلو تعني محب أو محبة، وسوفيا تعني الحكمة، فمعنى كلمة فلسفة أي محبة

الحكمة^(٣).

^(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٧٢، وانظر: الإيمان بالقرآن، ص ٤٥، ورسالة في القرآن وكلام الله للموفق

بن قدامة، ص ٣٠ وما بعدها.

^(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن للرومي، ص ٢٥ - ٢٦، والقرآن الكريم ومترته ٣٧/١.

^(٣) انظر: المعجم الفلسفي ١٦٠/٢، ومعجم ألفاظ العقيدة، ص ٣٠٧، وإغاثة اللهفان ٢٥٦/٢.

والفلاسفة كما يقول ابن القيم^(١) رحمه الله "اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه"^(٢).

ومن أبرز الفلاسفة قبل الإسلام سقراط^(٣) وأفلاطون^(٤) وأرسطو^(٥) وهؤلاء ليسوا موضع بحثنا وإنما موضع بحثنا هم الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام الذين يعدون امتداداً لمدرسة أرسطو ومن أبرزهم:

١- الفارابي: أبو نصر بن محمد بن طرخان، تركي الأصل وقيل أن أباه كان فارسي المنتسب ولد سنة ٢٥٧ وقيل ٢٥٩ وتوفي سنة ٣٣٩هـ.

لقب بالمعلم الثاني لأنه كان أكثر الفلاسفة عناية بكتب أرسطو المعلم الأول وهو من أشد الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام إطلاعاً على الفلسفة اليونانية، له مصنفات عديدة في المنطق والفلسفة والأخلاق والسياسة^(٦).

(١) ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي ثم اللمشمقي الحنبلي، تلميذ ابن تيمية، برع في شتى العلوم، له مصنفات منها القوائد وزاد المعاد، توفي سنة ٧٥١هـ.

انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣٦٨/٢ - ٣٧٠، وابن قيم الجوزية حياته وآثاره، ص ٧ - ١٠، والبدر الطالع ١٤٣/٢، والنجوم الزاهرة ١٩٥/١٠.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/٢٥٧.

(٣) سقراط: بن سفرنيسقوس الحكيم الزاهد من أهل أثينية، اقتبس الحكمة من فيثاغورس واختصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاق قتل مسموماً.

انظر: عيون الأنباء، ص ٧٠، والملل والنحل ٤٠١/٢، والفهرست، ص ٣٠٤.

(٤) أفلاطون: بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينية وهو آخر المتقدمين الأوائل من أساطين الفلاسفة تلميذ سقراط وخليفته على كرسيه بعد موته وأستاذ أرسطو الفيلسوف المشهور.

انظر: عيون الأنباء، ص ٧٩، والملل والنحل ٤٠٧/٢، وإخبار العلماء، ص ١٣، والفهرست، ص ٣٠٤.

(٥) أرسطو: هو أرسطو طاليس وقيل أرسطاطاليس أحد فلاسفة اليونان وإليه انتهت الفلسفة اليونانية كان تلميذاً لأفلاطون ومعلماً للألكسندر المقدوني.

انظر: إخبار العلماء، ص ٢١، ومعجم الفلاسفة، ص ٥٢، وموسوعة أعلام الفلاسفة، ص ٣٨.

(٦) انظر: عيون الأنباء، ص ٦٠٣، وإخبار العلماء، ص ١٨٢، وموسوعة الفلاسفة، ص ٤٩، وسير أعلام النبلاء ٨٢/١٢.

٢- ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، ينتمي هو وأبوه وأهل بيته إلى الفرق الباطنية الإسماعيلية الشيعية، كان مولده بأفشنة وهي قرية على مقربة من بخاري سنة ٣٧٥هـ، ووفاته سنة ٤٢٨هـ، اشتغل بالفلسفة والطب والمنطق، وله مصنفات عدة منها الشفاء والنجاة والقانون في الطب وغيرها^(١).

ابن شد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد بن الوليد، يلقب بالحفيد ولد سنة ٥٢٠هـ بقرطبة وتوفي سنة ٥٩٥هـ، نشأ في بيت علم وفصل، ودرس الفقه على مذهب مالك، وعكف على الأدب ثم انصرف إلى الطب والرياضيات والفلسفة حتى صار يضرب به المثل في ذلك، عكف على تلخيص كتب أرسطو وتفسيرها وحل غوامضها حتى وقعت له محنة عظيمة بسببها، كان أكبر الاهتمام بالتوفيق بين النبوة والفلسفة لدفع الطعن والشناعة عن المشتغلين بالفلسفة، له مصنفات عدة منها تآملت الفلاسفة، والكشف عن مناهج الأدلة، وفصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال وله كتب في الطب والفلك وغيرها^(٢).

(١) انظر: عيون الأنباء ٣/٣، وموسوعة أعلام الفلاسفة، ص ١٥، ووفيات الأعيان ١٥٧/٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٥١/١٥، والأعلام ٣١٨/٥.

المبحث الأول

نزول القرآن من عند الله تعالى

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم

معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم أنه كلام الله تعالى منه؛ بدأ وإليه يعود، وهو حرف ومعنى، وأن الله تعالى هو المتكلم بالقرآن حقيقة، وليس لجبريل ولا محمد عليهما السلام إلا التبليغ والأداء.

وهو المكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي في المصاحف المتلو بالألسن. يقرأه المقرئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بأذانهم، وينسخه النساخ بالآلهم^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): "إن القرآن كلام الله غير مخلوق وهو كلام الله حيث تلي، وحيث كتب، وهو قرآن واحد... وإن تنوعت الصور التي يتلى فيها ويكتب من أصوات العباد ومدادهم فإن الكلام كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من بلغه مؤدياً...."^(٣).

وقد دل على أن القرآن كلام الله تعالى عدة أدلة من كتاب الله تعالى منها:

١- قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٤)، ففيه دلالة على أنه يسمع كلام الله تعالى الذي

هو القرآن.

^(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٧٢، والقرآن الكريم وموله ٥٨/١ وما بعدها.

^(٢) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحارثي ثم الدمشقي، نادرة عصره، إمام رباني مجر، وعالم زاهد، وحافظ متقن له تصانيف باهرة لم يسبق إلى مثلها منها درء تعارض العقل والنقل وبغية المرتاد، توفي سنة ٧٢٨هـ.

انظر: العقود الدرية، ص ٣، وتذكرة الحفاظ ١٩٢/٢، والأعلام العلية، ص ٢٠.

^(٣) مجموع الفتاوى ٢٤١/١٢.

^(٤) سورة التوبة، آية ٦.

٢- قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١)، فكلام الله تعالى غير خلقه والقرآن من أمره لا من خلقه ولو كان أمره مخلوقاً لكان كأنه قال: ألا له الخلق والخلق وهذا تكرار لا فائدة منه.

٣- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْعِيزَاتِ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢)، فأضاف الإنزال إلى الله سبحانه مما يدل على أن جميع الكتب السماوية من عنده تعالى وهذا هو المفهوم من الإنزال في الآية^(٣).

وأصرح من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَةَ أَنْ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾^(٧).

(١) سورة الأعراف، آية ٥٤.

(٢) سورة الحديد، آية ٢٥.

(٣) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢٠٤/١٥، وانظر: الإيمان بالقرآن، ص ١٧، والقرآن الكريم ومثله ٦٨/١ - ٧٠.

(٤) سورة السجدة، آية ٢.

(٥) سورة الزمر، آية ١.

(٦) سورة النساء، آية ٨٢.

(٧) سورة النحل، آية ١٠٢.

يقول ابن تيمية: "وروح القدس هو جبريل، فبين أن جبريل نزل من الله لا من هواء ولا من لوح ولا من غير ذلك"^(١).

ومن السنة: حديث ابن عباس وفيه "كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: "أعذكما بكلمات الله التامة...."^(٢) الحديث.

وقد كان الإمام أحمد يستدل بقوله "بكلمات الله التامة" على أن القرآن غير مخلوق وذلك لأن رسول الله ﷺ لا يستعبد بمخلوق وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق وهو كلام الله تعالى^(٣).

وحديث ابن عباس: "كان رسول الله ﷺ يعالج من التزليل شدة..."^(٤) الحديث، والتزليل يعني المزل عليه من الله^(٥).

وفي حديث آية الملائنة قال النبي ﷺ: "أين السائل قد نزل من الله أمر عظيم"^(٦).

وكل أحاديث أسباب النزول تشير إلى أن القرآن كلام الله منزل من عنده^(٧).

(١) مجموع الفتاوى ٥١٩/١٢.

(٢) المسند، ٢١١٢.

(٣) انظر: الوسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد ١٩٧/١.

(٤) أخرجه البخاري (٥).

(٥) انظر: الإيمان بالقرآن، ص ١١٣.

(٦) أخرجه البخاري، (٤٧٤٥) بنحوه.

(٧) انظر: الإيمان بالقرآن، ص ١١٤.

المطلب الثاني: تلقي جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى

بينا فيما تقدم أن الذي عليه أهل الحق كافة أن جبريل عليه السلام تلقى الوحي بالقرآن من الله تعالى وسمعه منه مباشرة، تلقاه جبريل بلفظه ومعناه سماعًا له من الله تعالى لا من اللوح المحفوظ، ولا من السفارة الكرام البررة، ولا من بيت العزة في السماء الدنيا. يقول ابن تيمية: "من قال أن جبريل أخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلاً"^(١).

فالحق أن جبريل عليه السلام تلقفه سماعًا من الله تعالى ونزل به على محمد فبلغه إياه لفظًا ومعنى من عند الله تعالى.

وأما من زعم أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، أو من بيت العزة، أو من الملائكة السفارة الكرام البررة ونزل به إلى محمد، أو زعم أن جبريل ألهمه وعبر عنه بلفظه فقلوه باطل مردود عليه بصريح نصوص الشرع التي أوردت طرقًا منها، بل والعقل ولغة العرب التي يفسر بها كتاب الله ترد ما ذهبوا إليه.

فليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد ﷺ واسطة في تلقي القرآن بلفظه ومعناه^(٢).

وجبريل عليه السلام هو الملك الموكل بالوحي، وقد ورد في النصوص الشرعية ما يدل على أن الله تبارك وتعالى يكلم ملائكته ويوحى إليهم؛ حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا.....﴾^(٣).

^(١) مجموع الفتاوى ١٢/١٢٧.

^(٢) انظر: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص ٦٢، ومحاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد، ص ٢٢ وما بعدها، والقرآن الكريم ومزله ١/١٨٦، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ١/١٩٥، ومجموع الفتاوى ١٢٧/١٢ - ١٢٨.

^(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا.....﴾^(١).

وفي حديث النّوأس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان...."^(٢).
ومن هذه النصوص متآزره يتبين أن الله تعالى يكلم الملائكة ويوحى إليهم بكلام يفهمونه دون واسطة بينهم وبينه في ذلك. وقد ثبت في نصوص الشرع القطعية أن الله تعالى قد أوحى إلى جبريل بالقرآن وأمره أنه يبلغه إلى محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا نُنَزِّلُ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُ ﴿٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ ﴿٣﴾ بِلِسٰنٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴿٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوْحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾^(٥).

"وروح القدس هو جبريل؛ فبين أن جبريل نزل من الله، لا من هواء، ولا من لوح ولا من غير ذلك"^(٥).

وهذا هو المتفق عليه بين سلف الأمة^(٦).

ولا تعارض بين كون جبريل تلقى القرآن من الله تعالى سماعاً ولم يأخذه من اللوح المحفوظ وبين وجود القرآن في اللوح المحفوظ قبل نزوله فالقرآن الكريم له أربع وجودات ذكرها أئمة الإسلام هي:

(١) سورة الأنفال، آية ١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٧٣٨).

(٣) سورة الشعراء، آيات ١٩٢ - ١٩٥.

(٤) سورة النحل، آية ١٠٢.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٥١٩/١٢.

(٦) انظر: العلو للذهبي، ص ١٤٣، ١٥٦، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكاني ٢٤١/١ وما بعدها.

- وجود في اللوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ

﴿^(١)﴾، وقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٢﴾﴾^(٢).

وهذا الوجود للقرآن الكريم في اللوح المحفوظ ثابت، ولم يرد فيه لفظ النزول فالأولى أن يعبر عنه بلفظ الوجود والثبوت.

- وجوده في أيدي السفرة الكرام البررة وهم الملائكة حيث يقول الله تعالى في

ذلك: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١﴾ رُفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿٢﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿٣﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿٤﴾﴾^(٣).

- وجوده في السماء الدنيا في بيت العزة، وهذا الأمر سمي تنزيلاً بنص كتاب الله

تعالى حيث يقول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿١﴾﴾^(٤)، وهذا النزول كان جملة واحدة وهو غير النزول المنجم على النبي ﷺ.

- وجوده في الدنيا بعد نزوله على محمد ﷺ بواسطة جبريل الذي يتلقاه من الله

سماعاً وينزل به إلى محمد منجماً وهذا الوجود للقرآن معلوم مشاهد مقروء متلو لا ينكر ذلك إلا مكابر^(٥).

(١) سورة الزخرف، آية ٤.

(٢) سورة الواقعة، آيتا ٧٧ - ٧٨.

(٣) سورة عبس، آيات ١٣ - ١٦.

(٤) سورة الدخان، آية ٣.

(٥) انظر في الكلام عن وجودات القرآن الكريم: الإيمان بالقرآن، ص ١١٤ وما بعدها، والقرآن الكريم ومزله.

المطلب الثالث: تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام

أجمع علماء أهل السنة والجماعة أن النبي ﷺ قد تلقى القرآن من جبريل عليه السلام عن طريق الوحي المبين، وأنه قد سمع القرآن بواسطة جبريل عليه السلام يقظة لا مناماً، ولا إلهاماً، وإنما كان وحياً جلياً من غير شك ولا إيهام^(١).

وهنا يكون من المهم أن نعرض على بيان عدة مسائل تتضح بمجموعها كيفية نزول القرآن وذلك بإيجاز:

المسألة الأولى: مقامات الوحي:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ﴾^(٢).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل.... وقوله "أو من وراء حجاب" كما كلم موسى عليه السلام.

وقوله "أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء" كما يرسل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم السلام"^(٣).

المسألة الثانية: صور تلقي النبي ﷺ الوحي (مراتب الوحي):

تلقي النبي ﷺ وحي الله تعالى في عدة صور:

- ١- الرؤيا الصالحة الصادقة في المنام وهي أول ما بدئ به من الوحي.
- ٢- ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه النبي عليه السلام.
- ٣- تمثل الملك للنبي عليه السلام في صورة بشر فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول.

(١) انظر: أضواء البيان ٤٦٢/٧ - ٤٦٣، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٧١/١٢، والقرآن الكريم ومزله

١٦٩/١.

(٢) سورة الشورى، آية ٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣١٣٧/٧ - ٣١٣٨.

- ٤ - إتيان الوحي إليه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده على النبي ﷺ.
 - ٥ - رؤية النبي عليه السلام الملك على صورته التي خُلِقَ عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه إليه.
 - ٦ - ما أوحاه الله تعالى إلى النبي ﷺ بلا واسطة ليلة الإسراء والمعراج فوق سبع سموات من فرض الصلاة^(١).
- فهذه هي مراتب الوحي عامة، وأما الوحي بالقرآن الكريم فقد كان بواسطة جبريل عليه السلام، ولم يزل شيء من القرآن بغير واسطة جبريل؛ إذ تقدم معنا إجماع السلف على ذلك.
- ولعلنا نلاحظ هنا أن صور تلقي النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام هي أنه يأتي في مثل صلصلة الجرس بصورة خفية فلا يرى أو يتمثل له على هيئة بشر في صورة رجل فيخاطبه فيعي عنه ما قاله أو يأتيه في صورته وخلقته التي خلقه الله عليها فيراه النبي ﷺ ويسمع منه^(٢).
- وظهور الملك بصورة بشر لا يعني أنه يتحتم عليه التجرد من، روحانيته، ولا أن تنقلب ذاته رجلاً.
- وإنما في ظهور الملك بصورة بشرية تأنيساً للنبي؛ ولهذا كانت هذه الحالة هي الأخف على النبي ﷺ.
- بينما لا يوجد هذا الأنس في الحالة الأولى وهي مجئ الملك كممثل صلصلة الجرس، بل هذه الحالة أشد على النبي كما أخبر النبي ﷺ^(٣).
- أما ما يذكر ضمن أساليب وصور اتصال الملك بالرسول من النفث في الروع الوارد في الأحاديث.

(١) انظر: الإيمان بالقرآن، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) انظر: الإيمان بالقرآن، ص ١٢٢.

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن للقطان، ص ٣٩.

فقد يكون راجعاً لإحدى الحالتين السابقتين فيكون الملك المتمثل في صورة بشر ينفث في روعه.

أو يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس وينفث في روعه^(١).

وقد تكون صورة أو كيفية أخرى من كلفيات وحي الملائكة للأنبياء. فيلقي الملك في قلب الرسول وعقله معنى معيناً دون أن يراه الرسول أو يسمعه^(٢) والله أعلم. ويجزم بعض الباحثين أن كيفية تلقي النبي عليه السلام الوحي بالقرآن من جبريل عليه السلام إنما لها صورتان فقط هي:

١- أن يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي بالقرآن وهو - أي جبريل - على صورته وخلقه التي خلقه الله عليها فيراه النبي عليه السلام ويسمع منه القرآن.

٢- أن يأتيه جبريل بالوحي بصورة خفية فلا يرى وإنما يسمع النبي عند مجيء جبريل بالوحي مثل صلصلة الجرس فيوحي إليه بالقرآن فيسمعه ويعيه ويحفظه، أما ما عداها من صور الوحي فنزول القرآن بها غير صريح.

بل يقطع من يرى ذلك بأن هذه هي صور تلقي النبي عليه السلام الوحي بالقرآن من جبريل عليه السلام، وإن كانت الصورة الأولى لم تحصل إلا مرتين، إلا أن الثانية هي الغالبة وهي التي يكون فيها جبريل على صورته الملكية ويأتي إلى النبي بصورة خفية يسمع منه ولا يراه.

ويوجه ما ذهب إليه هؤلاء بأدلة منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَتَلْقَىٰ عَلَيْكَ قَوْلًا

ثَقِيلًا﴾^(٣)، ومعلوم أن نزول جبريل عليه السلام بالوحي على صورته الملكية أثقل وأشد على النبي ﷺ.

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن للقطان، ص ٤٠.

(٢) انظر: وحي الله، ص ١٠٦.

(٣) سورة المزمل، آية ٥.

ومنها أن الجزم بأن هاتين الصورتين هي صور نزول الوحي بالقرآن على النبي عليه السلام والقطع بذلك؛ لأجل ألا يكون نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على صورة رجل مثار للشك والتليس على ضعفاء الإيمان بأن يقال: "إنما يعلمه بشر" كما كان يزعم المشركون.

وهذا يكون الذهاب إلى هذا القول فيه قطع لأقوال المشككين ويتوافق فيه ما ورد في الكتاب مع ما ورد في السنة في هذا الباب، والله أعلم.

ويوجه أصحاب هذا القول ما ورد من روايات في نزول الوحي إلى النبي ﷺ، ومجيء الملك به على صورة بشر؛ بأنه من قبيل الوحي بالسنة لا الوحي المتلو المتعبد به الذي هو كلام الله تعالى لفظاً ومعنى^(١).

من كل ما سبق أردنا تأكيد حقيقة ثابتة لاشك فيها ولا إبهام وهي أن القرآن منزل من عند الله تعالى لفظه ومعناه ليس لجبريل عليه السلام ولا لمحمد ﷺ فيه إلا التبليغ والأداء.

وهذا هو المتفق عليه عن سلف الأمة والمنقول عن أئمتها "فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله ﷺ من البشر، والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، وكلاهما مبلغ له كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ يَلْغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾"^(٢).... وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء كما أن المعلمين له في هذا الزمان، والتالين له في الصلاة وخارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك، لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه"^(٣).

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهاب، ص ٦٠ - ٦١، والإيمان بالقرآن، ص ١٢٣ - ١٢٤، والقرآن الكريم ومدرسته ١٧٧/١ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٦٠/١٢.

يقول حماد بن زيد^(١) رحمه الله: "القرآن كلام الله تعالى أنزله جبريل من عند رب العالمين"^(٢).

ويقول أبو بكر بن عياش^(٣) رحمه الله: "القرآن كلام الله ألقاه إلى جبرائيل وألقاه جبرائيل إلى محمد ﷺ منه بدا وإليه يعود"^(٤).

(١) حماد بن زيد: حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه من كبار الثامنة، توفي سنة ١٧٩هـ.

انظر: تقريب التهذيب، ص ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢٤٥/٧.

(٢) العلو للذهبي، ص ١٤٣.

(٣) أبو بكر بن عياش: بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ، ثقة عابد، قال عنه ابن المبارك: "ما رأيت أحداً أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش" توفي سنة ١٩٣هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ١٩٤/١، وسير أعلام النبلاء ٦٨٠/٧.

(٤) العلو للذهبي، ص ١٥٦، وانظر: في كلام أئمة أهل السنة في تقرير هذه المسألة: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢٤١/١ وما بعدها، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١٨٧/١ وما بعدها.

المبحث الثاني

نزول القرآن عند الفلاسفة: معناه ومصدره

يرتبط مذهب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام في معنى نزول القرآن ومصدره ارتباطاً وثيقاً بمذهبهم في الصفات الإلهية، وبمفهوم الوحي لديهم، بل ومذهبهم في الفيض والصدور وعلاقة ذلك بالملائكة والنبوة.

ولعل من المهم أن نستعرض بإيجاز شديد موقفهم من ذلك كله حتى يتبين لنا بجلاء مذهبهم وقولهم في نزول القرآن: مصدره وكيفيته.

المطلب الأول: موقف الفلاسفة في الإسلام من صفات الله تعالى عامة ومن صفة الكلام خاصة

ورد عن الفلاسفة الإلهيين ما يبين إقرارهم بواجب الوجود على اختلاف بينهم في الألفاظ وفي حقيقة هذا الإقرار وصفته، فأساطين الفلاسفة الأوائل كسقراط وأفلاطون^(١) كانوا يؤمنون بوجود الصانع، ويثبتون له بعض الصفات، ويقولون بحدوث العالم بحسب ما نقله عنهم أصحاب المقالات، وأما من جاء بعدهم كأرسطو وأتباعه المشائين فليس لواجب الوجود ولا صفاته ذكر لديهم وإنما العلة الأولى أو المحرك الأول الذي هو علة غائية للحركة الفلكية يتحرك الفلك للتشبه به.

وقد ذهب أرسطو إلى أن المحرك الأول واحد من جميع الوجوه وهو غير مركب فهو ليس جسمًا بل هو جوهر مفارق للمادة لا مكان له^(٢).

وعلى هذه الفلسفة المعطلة بنى الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام مذهبه في صفات الله تعالى، فواجب الوجود عندهم بسيط غير مركب وهو لا ينقسم لا في المعنى ولا في الكم، ولا فصل له، ولا ند، ولا عرض ولا يشار إليه بصريح العرفان العقلي ولا يمكن أن يكون خارج العالم ولا داخله، ولا أين له، ولا متى كما يقول ابن سينا في أضحيته^(٣).

فهم بهذا يرون أن وحدانية الله تعالى وتفردّه تعني تجريدّه من كل صفة تجعل له وجودًا خارج الذهن وزعموا أن اتصافه بأي صفة يلزم منها التركيب والافتقار وكلاهما محال وهو يخالف البساطة والتفرد.

وما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ردوها إلى معنى العلم والإدراك.

(١) وفيثاغورس أيضًا.

(٢) انظر: الملل والنحل ٤/٤٤٤ وما بعدها، ومجموع الفتاوى ٢/٨٦، ١٩١، وإغاثة اللفهان ٢/٢٥٨ -

٢٦٠، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) الرسالة العرشية، ص ٣، وإغاثة اللفهان ٢/٢٦٠، ٢٦١، والرد على المنطقيين، ص ٤٦٣، والجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص ٣٧٩ - ٣٩٢.

فاسمه السميع هو معنى كونه عالماً بالمسموعات، واسمه البصير هو معنى كونه عالماً بالمبصرات، وكونه حياً معناه علمه بنفسه على ما هو عليه.

وكلامه تعالى لا يرجع إلى ألفاظ وعبارات؛ وإنما هو فيضان العلوم من الله تعالى على قلب النبي، وكل ذلك يرجع إلى معنى العلم والإدراك.

وهؤلاء لا يميزون بين صفة وأخرى؛ وإنما يجعلونها بمعنى واحد فكونه سميعاً هو نفسه معنى كونه بصيراً وكونه متكلماً هو نفسه معنى كونه قديراً.

ثم هم يجعلون الصفات هي عين الذات وذلك بردها إلى نفس الذات إما بطريق السلب أو الإضافة أو بهما معاً^(١).

يقول ابن سينا: "كونه متكلماً قد ذكرنا أنه واحد وأنه متره عن العلل الأربع، فوصفه بكونه متكلماً لا يرجع إلى ترديد العبارات ولا إلى أحاديث النفس والفكرة المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل عليها بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي ﷺ بواسطة القلم النقاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب هو كلامه فالكلام عبارة عن العلوم الخاصة للنبي ﷺ، والعلم لا تعدد فيه ولا كثرة "وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر" بل التعدد إما أن يقع في حديث النفس والخيال والحس فالنبي ﷺ يتلقى علم الغيب من الحق بواسطة الملك، وقوة التخيل تتلقى تلك وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة، وتجدها لوح النفس فارغاً فتنتقش تلك العبارات والصور فيه؛ فيسمع منها كلاماً منظوماً ويرى شخصاً بشرياً فذلك هو الوحي..."^(٢).

^(١) انظر: رسالة أضحية، ص ٤٤، والرسالة العرشية، ص ٧ - ١٠، والنجاة، ص ٢٤٩، والجانب الإلهي عند

ابن سينا، ص ١١٣ - ١١٥، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ص ٣٧٨، ٣٧٩.

^(٢) الرسالة العرشية، ص ١٢.

المطلب الثاني: مفهوم الوحي عند الفلاسفة في الإسلام وموقفهم من الملائكة

أولاً: مفهوم الوحي عند الفلاسفة:

يتفق مفهوم الوحي عند الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام مع مذهبهم في صدور الكائنات وإيجادها وتديرها.

فهم ورثوا تركة وثنية عن أسلافهم فلاسفة اليونان في هذا الجانب نظروا إلى الوحي من خلالها.

فزعّموا أنه عبارة عن فيض عقلي يفيض من العقل الفعال على نفوس الأنبياء والأصفياء متى ما استعدت نفوسهم لقبول هذا الفيض^(١).

وبعضهم يعبر عن الوحي بأنه لوح من مراد الملك للروح الإنساني بلا واسطة وذلك هو الكلام الحقيقي^(٢).

ثانياً: موقف الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام من الملائكة:

لم يرد عن الفلاسفة اليونان ما يبين عقيدتهم في الملائكة الكرام لا بنفي ولا إثبات ولكن القوم كانوا وثنيين يعبدون الكواكب والأصنام ولهذا عظمت عنايتهم بعلم الهيئة والكواكب كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣).
حتى جعلوا للأفلاك عقولاً ونفوساً تسيرها وتحكمها.

وقد ابتدع هؤلاء الوثنيين فكرة العقول العشرة التي تصرف الكون، والتي صدر أولها عن العلة الأولى وذلك بطريق الفيض، ثم صدر عن العقل الأول العقل الثاني بالطريق نفسه، ثم صدر عن العقل الثاني العقل الثالث، وهكذا إلى العقل العاشر الذي هو العقل الفعال الذي فاض عنه كل ما تحت فلك القمر من المخلوقات وهو مدبرها والمتصرف فيها.

(١) انظر: المدينة الفاضلة، ص ٧٥ - ٧٦، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٢) انظر: الرسالة العرشية لابن سينا، ص ١٢.

(٣) انظر: دقائق التفسير ٤١٦/٦.

وقد سار الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام في ركاب هؤلاء في القول بالعقول العشرة التي تدبر الكون، ثم زعموا أن هذه العقول العشرة التي تدبر الكون وتتصرف فيه إنما هي الملائكة محاولين بذلك التقريب بين النبوة والفلسفة والتوفيق بينهما. وزعموا أنه العقل الفعال الذي هو العقل العاشر الوارد في نظرية الفيض والصدور عندهم هو جبريل عليه السلام^(١).

ومنهم من يزعم أن الملائكة السماوية هي نفوس الأفلاك والملائكة المقربون هم العقول الفعالة وبعضهم يجعل عالم الملكوت والجبروت هو عالم النفس والعقل. وقد جعل هؤلاء الملائكة معاني عقلية وقوى نفسانية وخيالات نورانية ليست أحياء ناطقة قائمة بأنفسها وإنما هي أعراض تقوم بغيرها وقالوا هي قوى النفس الصالحة وذلك تبعاً لمفهوم العقول عندهم إذ هي ماهيات مجردة من المادة^(٢).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم، وإنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية هي العقول عندهم، وهي مجردات ليست داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوق السموات، ولا تحتها، ولا هي أشخاص تتحرك، ولا تصعد، ولا تنزل، ولا تدبر شيئاً ولا تتكلم.... كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة....."^(٣).

ويقول ابن تيمية: "يجعلون الملائكة وكلام الله الذي بلغوه هو ما يتخيل في نفس النبي من الصور والأصوات كما يتخيل النائم.... ليس هناك عندهم ملك منفصل ولا كلام نزل به الملك من الله عندهم"^(٤).

(١) انظر: المدينة الفاضلة، ص ١٠٣ - ١٠٤، والنجاة، ص ٢٧٧، وانظر بغية المرتاد، ص ٣٩.

(٢) انظر: بغية المرتاد، ص ٣٩ وما بعدها، الصفدية ١/١٨٩، وإغاثة اللفهان ٢/٣٦١، والتسعينية ١/٢٧٢ - ٢٧٤.

(٣) إغاثة اللفهان ٢/٢٦١.

(٤) الرد على المطلقين، ص ٤٧١. وانظر: التسعينية ١/٢٧٢ - ٢٧٤.

المطلب الثالث: موقف الفلاسفة من النبوة والرسالة

مما تقدم من بيان لمفهوم الوحي عند هؤلاء وقولهم في الملائكة نصل إلى قولهم في النبوة والرسالة فهم يرون أنّها ما قبل من الإفاضة العقلية المسماة وحياً على أي عبارة استصوبت لصالح عالمي البقاء والفساد علماً وسياسة.

فالرسول عندهم هو المبلغ ما استفاده من الإفاضة المسماة وحياً على أي عبارة استصوبت ليحصل بآرائه صلاح العالم الحسي بالسياسة والعالم العقلي بالعلم^(١).

ويذهب الفلاسفة إلى أن النبوة ليست منحة واصطفاء إلهي وإنما هي أمر يمكن اكتسابه إذا توفرت ثلاث خصائص وقوى:

الأولى: القوة القدسية التي تمكن من تحصيل العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة.

والثانية: قوة التخيل بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه أو يسمعه.

والثالثة: القوة النفسانية التي تمكنه من التصرف في هوى العالم.

فهذه القوى الثلاث تمكن صاحبها من الاتصال بالعقل الفعال ليفيض عليه العلوم والمعارف^(٢).

(١) انظر: تسع رسائل في الحكمة، ص ٩٨، والجانب الإلهي عند ابن سينا، ص ٢٩٨ - ٣٠٠، والمدينة الفاضلة، ص ٧٤ - ٧٧.

(٢) انظر: البوات ٥٠٤/١، ٦٩٨، ٨٣٧، وإغاثة اللهفان ٢/٢٦٢، والمدخل إلى فلسفة ابن سينا، ص ٢٧١ - ٢٧٢، والجانب الإلهي عند ابن سينا، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

المطلب الرابع: نزول القرآن عند الفلاسفة في الإسلام: معناه ومصدره

بعد استعراض مذهب الفلاسفة في الوحي والملائكة والنبوة والصفات الإلهية يتبين لنا مذهبهم في نزول القرآن: معناه ومصدره.

فهم يرون أن القرآن ليس كلام الله تعالى وإنما هي عبارات الرسول التي استفادها أو استفاد معناها من الفيض الذي فاض عليه من قبل العقل الفعال أو من غيره. فالوحي بالقرآن عندهم إنما هو عبارة عن فيض العقل الفعال أو غيره على نفس النبي، والقرآن على هذا ليس هو كلام الله؛ وإنما هو عبارات وضعها الرسول، واستصوبها لإصلاح العالم، وليس لله كلاماً خارجاً عما في نفس النبي، بل والفيض على نفس النبي لا يختلف عن الفيض على سائر النفوس إلا من جهة كونه أصفى وأكمل.

بل يزعم الفارابي^(١) منهم أن تلقى الفيلسوف عن العقل الفعال أقوى وأفضل من تلقي النبي؛ لأن النبي يتلقى عن طريق القوى المخيلة أي أنه يتخيل في نفسه صوراً ويسمع أصواتاً من جنس ما يحصل للنائم في منامه بينما يتصل الفيلسوف بالعقل الفعال عن طريق البحث والنظر الطويل^(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله مصوراً مذهبهم في ذلك: "وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئاً ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام، ومن تقرب منهم إلى المسلمين يقول: الكتب المترلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في نفسه بحيث توهمها أصواتاً تخاطبه، وربما قوى الوهم حتى يراها أشكلاً نورانية تخاطبه وربما قوى ذلك حتى

^(١) ويخالفه ابن سينا جاعلاً النبي في أعلى المراتب البشرية ومفضلاً له عن الفيلسوف فالنبي بقوته القدسية أقدر من الفيلسوف على إدراك الحقائق وهو فوق ذلك هاد يقود البشرية إلى طريق السعادة.

انظر: المدخل إلى فلسفة ابن سينا، ص ٢٨٧ - ٢٩٥، والجانب الإلهي عند ابن سينا، ص ٢٩٨.

^(٢) انظر: تسع رسائل في الحكمة، ص ٩٨، والمدينة الفاضلة ص ٧٤ - ٧٧، والسعنية ١/ ٢٧٢ - ٢٧٤، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ١/ ١٩٥، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ص ٤١٠، والجانب الإلهي عند ابن سينا، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

يخيلها لبعض الحاضرين؛ فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج^(١).

والتأمل لأقوال الفلاسفة في هذه المسألة مسألة الوحي بالقرآن معناه ومصدره يتبين لنا حقائق هامة في مذهب هؤلاء.
من ذلك:

— حقيقة القرآن عند هؤلاء ومصدره إنما هي أنه فيض فاض من العقل الفعال الذي تفيض منه سائر العلوم دون إرادة منه، سواء كان فيضان هذه العلوم على الأنبياء أو على الأذكىاء أو على الأصفىاء بحسب استعداد الخلق.
بل يزعم ابن رشد أن "الكلام ليس شيئاً أكثر من أن يفعل المتكلم فعلاً يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه.... وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل.... ولهذا الفعل شرط آخر في الشاهد وهو أن يكون بواسطة وهو اللفظ؛ وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون هذا الفعل من الله تعالى في نفس من اصطفى من عباده بواسطة ما، إلا أنه ليس يجب أن يكون لفظاً ولا بد مخلوقاً له، بل قد يكون بواسطة ملك وقد يكون وحيًا بغير واسطة لفظ يخلقه، بل يفعل فعلاً في السامع ينكشف له به ذلك المعنى وقد يكون بواسطة لفظ يخلقه الله في سمع المختص بكلامه سبحانه"^(٢).

فكلام ابن رشد هنا يدور بين أمرين بين القول بأن ألفاظ القرآن مخلوقة والمعنى من عند الله، وبين القول بأنه فيض يفيض على نفس النبي.

— اضطرب كلام الفلاسفة وتناقضهم وعدم ثباته على شيء واحد وهو نتيجة للوازم الباطلة التي تلزم على قولهم في القرآن ومصدره والتي تدل على ضلالهم في هذا الباب.

فهم مرة يزعمون أن وصفه تعالى "بكونه متكلمًا لا يرجع إلى ترديد العبارات، ولا إلى أحاديث النفس والفكرة المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل عليها، بل فيضان

^(١) إغاثة اللهفان ٢/٢٦٢، وانظر: الرسالة العرشية، ص ١٢.

^(٢) الكشف عن مناهج الأدلة، ص ٥٥.

العلوم منه على لوح قلب النبي ﷺ بواسطة القلم النقاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب^(١).

ومرة يزعمون أن المعنى من الله واللفظ مخلوق، ومرة يرون أن هذا الفيض هو من العقل الفعال على نفوس الأنبياء أو الأذكاء أو الأصفياء بحسب استعداد الخلق، بل سائر العلوم إنما تفيض من العقل الفعال دون إرادة منه، وتارة يتناقضون في العقل الفعال نفسه هل هو الله تعالى أم هو جبريل وهل هذا الفيض يفيض عن الله تعالى، أم عن النفس الكلية^(٢) وهكذا شأن من ضل عن طريق الوحي.

- مذهب الفلاسفة في الصفات هو الذي شكل قولهم في نزول القرآن ومصدره إذ هم يقولون في الصفات بسلب النقيضين ويقولون بأن أحكام الصفات لا سبيل للعرض لها لا نفيًا ولا إثباتًا.

ثم إن أقوالهم في الصفات نفسها مضطربة وخاصة صفة الكلام^(٣).

- يؤول قول عامة الفلاسفة وأتباعهم في نزول القرآن ومصدره إلى أنه خيالات نتجت عن اتصال نفس النبي بالعقل الفعال؛ نتيجة لصفاء مختلفة، مما جعل العقل الفعال يفيض، عليه من العلوم ما يفيض ولا يخفي خطورة هذا القول ولوازمه الباطلة يبين ذلك النقطة التالية.

- لازم قول هؤلاء أنه ليس هناك وحي من الله ولا ملك ينزل بالوحي وإنما هي مجرد خيالات تتشكل في نفس النبي لشدة صفائها، ولا يخفى ما في هذا القول من مصادمة للنصوص ومخالفة لأصول الاعتقاد الكبرى؛ بل مؤاده أن النبوة والوحي أمر خيال؛ لأن نزول الوحي مما يتوقف على وجود الملك، بل هذا

(١) الرسالة العرشية، ص ١٢.

(٢) انظر: الكشف عن مناهج الأدلة، ص ٥٥ - ٥٧، ورسالة ما بعد الطبيعة، ص ٢٢ - ٢٣. وانظر: الرد على

المنطقيين، ص ٤٧٥، ٤٧٦.

(٣) انظر: الكشف عن مناهج الأدلة، ص ٥٥ - ٥٧.

القول مؤداه هدم للأديان جميعاً وجحد للكتب والرسالات^(١) وقد تفتن بعض الفلاسفة أنفسهم إلى خطورة نفى الصفات عن الله تعالى وأنه يلزم منه هدم الشريعة فنفي العلو يؤدي إلى ذلك؛ لأن الوحي نازل من السماء، ويؤدي إلى جحد الرسالات؛ لأن بعث الأنبياء انبى على أن الوحي نازل من السماء ويؤدي إلى هدم الشريعة؛ لأن الكتاب العزيز نازل من السماء وانبى نزول الوحي من السماء، على أن الله في السماء، وكذلك كون الملائكة تنزل من السماء وتصلد إليها بل يقول ابن رشد: "الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ"^(٢).

وبهذا نجد التناقض ظاهر عند هذا الفيلسوف فهو يقر هنا أن الشريعة لا تصح إلا بإثبات نزول الوحي من السماء ثم ينجح إلى قوله أساتذته في الفيض والعقول العشرة محاولاً التوفيق بين الفلسفة والنبوة.

ولعلنا نحتّم بإيراد ردود شيخ الإسلام في هذه القضايا تجمل لنا جميع ما سبق وتبين خطورته وأبعاده ونكتفي بها في الرد على بقية المسائل التي لم تتعرض للرد عليها بصورة مباشرة.

هنا يقول ابن تيمية رحمه الله مبيّناً حقيقة قولهم في كلام الله تعالى: "وهذا كما يجعلون كلام الله ما يفيض على نفس النبي من غير أن يشبوا الله تعالى كلاماً خارجاً عما في نفس النبي وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس إلا من جهة كونها أصفى وأكمل وحينئذ فيكون القرآن كلام النبي ﷺ"^(٣).

وقال في الرد على مذهبهم في الملائكة: "معلوم أن الملائكة الذين وصفهم الله تعالى في الكتاب والسنة لا ينطبقون على هذه العقول العشرة والنفوس التسعة التي

(١) انظر: التسعينية ٢٧٢/١ - ٢٧٥، وبغية المرتاد، ص ٤٠.

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة، ص ٦٧، وإغاثة اللهفان ٢/٢٥٨.

(٣) بغية المرتاد، ص ٤.

يذكرونها.... ولهذا يؤول هم الأمر إلى أن يجعلوا الملائكة والشياطين أعراضاً تقوم بالنفس ليست أعياناً قائمة بنفس حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار أن هذا خلاف ما أخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون...^(١).

وقد رد عليهم ابن تيمية أيضاً في قضية النبوة وإمكانية اكتسابها فقال في نص آخر:

"كثيراً من آحاد المؤمنين تحصل له هذه الثلاث وما هو أكمل منها: تحصل له قوة علمية في نفسه وقوة عملية في نفسه يكون بها مؤثراً أو يحصل له إحساس باطن فيرى ويسمع في باطنه؛ وهو من آحاد المؤمنين فمن جعل هذا حد النبي ومنتهاه كان مبطلاً جاحداً لحقيقة ما خص الله به أنبياءه"^(٢).

ثم قال: "إن النبوة لا تنال باكتساب الإنسان واستعداده كما تنال بذلك العلوم المكتسبة والدين المكتسب؛ فإن هؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره، ولا قدروا الأنبياء حق قدرهم"^(٣).

ويقول في موضع آخر ردّاً على مذهبهم في ذلك: "فمحمد عندهم يأخذ من الملك الذي هو عندهم خيال في نفسه، وذلك الخيال يأخذ عن العقل فمحمد يأخذ عن جبريل وهذا الخيال هو جبريل، وجبريل يأخذ عن ما علمه من النفس الفلكية...."^(٤).

"ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة وصار كثير منهم يطلب أن يؤتى مثل ما أوّى رسل الله وأن يؤتى صحفاً منشورة.... ولهذا كان عمدتهم في إثبات النبوة هو المناطات"^(٥).

(١) انظر: بغية المراتد، ص ٤٠.

(٢) الصفدية ٢٢٩/١، وانظر أيضاً الرد على المنطقيين، ص ٤٨٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الرد على المنطقيين، ص ٤٨٨، وانظر الملل والنحل ٥٧٥/٢، وتسع رسائل في الحكمة: الرسالة الثالثة، ص ٥٩ - ٦٢.

(٥) الرد على المنطقيين، ص ٤٨٣.

ويقول رحمه الله مبيّنًا حقيقة قول هؤلاء في مصدر القرآن: "هؤلاء المتفلسفة يقولون: إن كلام الله هو ما يفيض على نفوس الأنبياء الصافية القدسية من العقل الفعال الذي يزعمون أنه الروح المفارق للأجسام الذي هو العقل العاشر كفلك القمر، ويزعمون أنه الذي يفيض منه ما في هذا العالم من الصور والأعراض، ويزعم من يزعم من منافقيهم الذين يحاولون الجمع بين النبوة وبين قولهم بأن ذلك هو جبرائيل.

ويقولون: إن تلك المعاني التي تفيض على نفس النبي، والحروف التي تتشكل في نفسه هي كلام الله، كما يزعمون أن ما يتصور في نفسه من الصور النورانية هي ملائكة الله، فلا وجود لكلام الله عندهم خارجًا عن نفس النبي ﷺ.....

وحقيقة ذلك أن القرآن إنشاء الرسول وكلامه؛ كما قال ذلك فيلسوف قريش

وطاغوثا الوحيد الوليد بن المغيرة.... ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(١). وهذا قول

وقع فيه طوائف من متأخري غالبية المتكلمة والمتصوفة؛ الذين ضلوا بكلام المتفلسفة؛ فوقعوا فيما ينافي أصلي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بما وقعوا فيه من الإشراك وجحود حقيقة الرسالة...^(٢).

ولا يخفى على كل ذي بصيرة أن مجرد تصور قول هؤلاء وإيضاح جوانبه كافٍ للرد عليه، وبيان بطلانه؛ وإيضاح حقائقه، والله المستعان.

(١) سورة المدثر، آية ٢٥.

(٢) التسعينية ٢٧٢/١ - ٢٧٥، وانظر: بغية المراتد، ص ٤٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد فإنني أجمل هنا أهم ما سطرته في هذا البحث.

- ١- أن القرآن الكريم كلام الله تعالى لفظاً ومعنى منه بدا وإليه يعود ووحيه الذي أنزله بواسطة جبريل إلى محمد ﷺ.
- ٢- أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن من الله تعالى سماعاً وبلغه وأداه إلى محمد ﷺ بغير واسطة.
- ٣- أن الوحي بالقرآن من الله تعالى إلى جبريل على السلام ونزول جبريل به إلى محمد ﷺ حقيقة لا مرية فيها، لا مناماً، ولا إلهاماً، وإنما كان وحياً جلياً وليس لجبريل ولا محمد عليهم السلام إلا التبليغ والأداء.
- ٤- أن مذهب الفلاسفة في نزول القرآن والوحي به (الفيض) مذهب باطل لا دليل عليه من نقل أو عقل ويلزمهم عليه لوازم باطلة.
- ٥- أن القول بمذهب الفلاسفة في الوحي بالقرآن يؤدي إلى عدم تعظيمه وإجلاله، بل وفيه هدم للرسالات وجحد لها بل وطعن في القرآن وفي مصدره.
- ٦- أن الوحي اصطفاء إلهي واختيار رباني لا ينال بالجهد الفكري ولا بالترقي الروحي ولكن الله يصطفي له من يشاء.
- ٧- أن معارف الوحي فوق طاقة البشر وقد رُفِّق.
- ٨- أن وجود القرآن في اللوح المحفوظ وبأيدي السفرة الكرام البررة وفي بيت العزة لا ينافي تلقى جبريل له من الله سماعاً ونزوله به إلى النبي ﷺ منجماً فكلما أراد الله عز وجل إنزال شيء منه تكلم سبحانه بما أراد أن ينزله وتلقاه جبريل عليه السلام منه سماعاً ونزل به إلى محمد ﷺ مبلغاً.
- ٩- أن مذهب الفلاسفة في الإسلام في وحي الله بالقرآن إلى محمد ﷺ مذهب باطل بل هو خليط من الفلسفة الوثنية والبدع الكلامية حاول فيها هؤلاء تلبيس الفلسفة ثوب الدين فأتوا بالطوام من البدع والعياذ بالله.

- ١٠- إن مذهب الفلاسفة في صفات الله تعالى وفي الملائكة والوحي والنبوة هو الذي صاغ مذهبهم الباطل في الوحي بالقرآن فبطلان هذه الأصول مبطل لكل ما اتصل بها من أصول عقديّة أخرى.
- ١١- إن مذهب الفلاسفة وقولهم في الوحي بالقرآن قول متهاافت وتصوره كاف لمعرفة بطلانه.
- ١٢- أن التمسك بالكتاب والسنة هي طريق النجاة والثبات في الدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

- ١- ابن قيم الجوزية حياته وآثاره/ بكر أبو زيد/ مطابع دار الهلال للأوفست/ الرياض/ ط١: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي/ ت: مصطفى البغا/ دار ابن كثير/ دمشق/ ط٣: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣- إخبار العلماء بأخبار الحكماء/ جمال الدين القفطي/ دار الآثار/ بيروت.
- ٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ الشنقيطي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٥- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية/ البزار/ ت: زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط٢: ١٣٩٦م.
- ٦- الأعلام/ الزركلي/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ط١٣: ١٩٩٨م.
- ٧- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان/ ابن القيم/ تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار المعرفة/ بيروت.
- ٨- أنباه الرواة على أنباه النحاة/ القفطي/ ت: أبو الفضل إبراهيم/ دار الفكر العربي/ القاهرة/ ط١: ١٤٠٦هـ.

- ٩- الإيمان بالقرآن الكريم ومواقف الناس منه دراسة عقديّة/تأليف: أحمد عاكش/رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ.
- ١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع/الشوكاني/مطبعة السعادة/مصر/ط١: ١٣٤٨هـ.
- ١١- بغية المرتاد/ابن تيمية/تحقيق: سعيد اللحام/دار الفكر العربي/بيروت/ط١: ١٩٩٠م.
- ١٢- التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول/القنوجي/مكتبة دار السلام/الرياض/ط١: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٣- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان/تأليف: طاهر الجزائري/اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة/ط٣: ١٤٢١هـ/دار البشائر/بيروت.
- ١٤- التجير في علم التفسير/السيوطي/ت: فتحي فريد/دار المنار/القاهرة/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٥- تذكرة الحفاظ/الذهبي/ت: زكريا عميرات/دار الكتب العلميّة/بيروت/ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٦- تسع رسائل في الحكمة والطبيعات وقصة سلامان راسبال لابن سينا/تحقيق: حسن عاصي/دار قابس/ط١: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٧- التسعينية/تأليف: أحمد بن تيمية/تحقيق: محمد العجلان/ط١: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م/مكتبة المعارف/الرياض.
- ١٨- تفسير القرآن العظيم/ابن كثير/ت: محمد البنا/دار ابن حزم/بيروت/ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٩- تقريب التهذيب/ابن حجر العسقلاني/ت: محمود عوامه/دار الرشيد/سوريا/ط٤: ١٤١٢هـ.
- ٢٠- تهذيب الأسماء واللغات/النووي/دار الكتب العلميّة/بيروت.

- ٢١- التوقيف على مهمات التعاريف/المنأوي/ت: محمد رضوان/دار الفكر المعاصر/بيروت/ط١: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٢- الجانب الإلهي عند ابن سينا/سالم مرشان/ط١: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م/دار قتيبة/بيروت.
- ٢٣- الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي/محمد البهي/مكتبة وهبه/عابدين/ط٦: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٤- دراسات في علوم القرآن الكريم/زاهرا لألمعي/ط٣: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م/مكتبة الملك فهد الوطنية/الرياض.
- ٢٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ابن حجر العسقلاني/ت: محمد جاد الحق/دار الكتب الحديثة/عابدين.
- ٢٦- دقائق التفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية/تحقيق: الجليلند مؤسسة علوم القرآن/دمشق/ط٢: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٧- الذيل على طبقات الخنابلة/ابن رجب/ت: أسامة حسن/حازم بهجت/دار الكتب العلمية/بيروت/ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٨- الرد على المنطقين/ابن تيمية/إدارة ترجمان السنة/مطبعة المعارف - لاهور/ط٣: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٢٩- رسالة أضحية في أمر المعاد/ابن سينا/ت: سليمان دنيا/دار الفكر العربي/ط١: ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- ٣٠- الرسالة العرشية في التوحيد/ابن سينا/ط١: ١٣٥٤هـ/مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية/ضمن مجموع رسائل الشيخ الرئيس).
- ٣١- رسالة في القرآن كلام الله/تأليف: عبد الله بن أحمد قدامة/تحقيق: يوسف السيد/ط١: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م/دار أطلس الخضراء/الرياض.
- ٣٢- رسالة ما بعد الطبيعة/ابن رشد/تقديم وضبط وتعليق: رفيق العجم، جبرار جهامي/دار الفكر اللبناني/بيروت/ط١: ١٩٩٤م.

- ٣٣- سنن أبي داود/سليمان بن الأشعث (الإمام أبو داود)/تعليق: عزت الدعاس -
عادل السيد/دار ابن حزم/بيروت/ط١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٤- سير أعلام النبلاء/الذهبي/ت: محب الدين العمروي/دار الفكر
العربي/بيروت/ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة
والتابعين من بعدهم/تأليف: اللالكائي تحقيق: أحمد الغامدي/ط٤: ١٤١٦هـ -
١٩٩٢م/دار طيبة/الرياض.
- ٣٦- شرح العقيدة الطحاوية/ابن أبي العز/تحقيق: عبد الله التركي وشعيب
الأرناؤوط/مؤسسة الرسالة/بيروت/ط٢: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٧- الصفدية/ابن تيمية/تحقيق: محمد رشاد سالم/ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م/دار
الهدى النبوي/مصر.
- ٣٨- طبقات المفسرين/الدواوي/ت: لجنة من العلماء/دار الكتب العلمية/بيروت.
- ٣٩- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية/ابن عبد الهادي/ت: أبو
مصعب الحلواني/الفاروق الحديثة/القاهرة/ط١: ١٤٢٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٠- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيها/تأليف: شمس الدين
الذهبي/اعتنى به: أشرف بن عبد المقصود/ط١: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م/مكتبة
أضواء السلف/الرياض.
- ٤١- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة/حازم حيدر/ط٢: ١٤٢٧هـ -
٢٠٠٦م/مكتبة دار الزمان/المدينة المنورة.
- ٤٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ابن أبي أصيبعة/ت: نزار رضا/منشورات دار
مكتبة الحياة/بيروت.
- ٤٣- فتح الباري/شرح صحيح البخاري/ابن حجر العسقلاني/ت: عبد العزيز بن
باز/محمد فؤاد عبد الباقي/دار الكتب العلمية/بيروت/ط١: ١٤١٠هـ -
١٩٨٩م.

- ٤٤ - الفهرست/ابن النديم/ت: إبراهيم رمضان/دار المعرفة/بيروت/ط١: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٥ - القاموس المحيط/الفيروز آبادي/ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة/مؤسسة الرسالة/بيروت/ط٦: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٤٦ - القرآن الكريم ومزلته بين السلف ومخالفهم دراسة عقديّة/تأليف: محمد طاهري/ط١: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م/دار التوحيد/الرياض.
- ٤٧ - الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة/ابن رشد/المكتبة المحمودية التجارية/مصر.
- ٤٨ - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة/نجم الدين الغزي/ت: خليل المنصور/دار الكتب العلمية/بيروت/ط١: ١٤١٨هـ.
- ٤٩ - لسان العرب/ابن منظور/دار صادر/بيروت/ط٣: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٠ - مباحث في علوم القرآن/منايع القطان/مكتبة المعارف/الرياض/ط٨: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٥١ - مجموع رسائل الشيخ الرئيس: رسالة العرشية في التوحيد/ط١/جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد والركن ١٣٥٤هـ.
- ٥٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/جمع وترتيب: عبد الرحمن وابنه محمد بن قاسم/١٤١٢هـ - ١٩٩١م/دار عالم الكتب/الرياض.
- ٥٣ - محاضرات في علوم القرآن/تأليف: غانم الحمد/ط١: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م/دار عمار/عمّان.
- ٥٤ - المدخل إلى فلسفة ابن سينا/تيسير شيخ الأرض/دار الأنوار/بيروت.
- ٥٥ - المدخل لدراسة القرآن الكريم/تأليف: محمد أبو شهبة/ط١: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م/مكتبة السنة/القاهرة.
- ٥٦ - المدينة الفاضلة للفارابي/علي عبد الواحد وافي/ط٢: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م/شركة مكتبات عكاظ/جدة.

- ٥٧- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة/جمع وتحقيق: عبد الإله الأحدي/ط٢: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م/دار طيبة/الرياض.
- ٥٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل/تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون/مؤسسة الرسالة/بيروت/ط١: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٩- معجم ألفاظ العقيدة/عامر فاخ/مكتبة العيكان/الرياض/ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٦٠- المعجم الفلسفي/جميل صليبا/الشركة العالمية للكتاب/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٦١- معجم المقاييس في اللغة/ابن فارس/ت: شهاب الدين أبو عمرو/دار الفكر/بيروت/ط٢: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٦٢- المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهاني/ت: محمد كيلاني/دار المعرفة/بيروت.
- ٦٣- الملل والنحل/الشهرستاني/تحقق: أمير مهنا - علي فاعور/ط٦: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م/دار المعرفة/بيروت.
- ٦٤- مناهل العرفان في علوم القرآن/الزرقاني/ت: أحمد شمس الدين/دار الكتب العلمية/بيروت/ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٦٥- موسوعة أعلام الفلاسفة/ماجد عدوان/دار عالم الثقافة/عمان/ط١: ٢٠٠١م.
- ٦٦- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها/صالح الغامدي/رسالة مطبوعة على الآلة/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/١٤٢٢هـ.
- ٦٧- النبوات/ابن تيمية/تحقيق: الطويان/ط١: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م/مكتبة أضواء السلف/الرياض.
- ٦٨- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية/ابن سينا/ط٢: ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

- ٦٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ابن تغرى بردى/ت: محمد شمس الدين/دار الكتب العلمية/بيروت/ط: ١: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٧٠- نزول القرآن الكريم/محمد الشايع/ط: ١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م/مكتبة الملك فهد الوطنية/الرياض.
- ٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/البقاعي/ط: ٢: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م/دار الكتاب الإسلامي/القاهرة.
- ٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير/ت: صلاح عويضة/دار الكتب العلمية/بيروت/ط: ١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٣- وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين/تأليف: حسن عتر/ط: ١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م/دار المكتبي/دمشق.
- ٧٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ابن خلكان/ت: إحسان عباس/دار صادر/بيروت.